

ديفيد هيرست: فشل الطغاة العرب في الوقوف في وجه إسرائيل قد يؤدي إلى انفجار

الأحد 21 يناير 2024 05:23 م

لفت رئيس تحرير موقع ميدل إيست آي "ديفيد هيرست"، إلى أنه مع تزايد عدد القتلى الفلسطينيين، يغلي الغضب في جميع أنحاء المنطقة وعلى حكام مصر ودول الخليج الحذر. وقال "هيرست" في مستهل مقال نُشره ميدل إيست آي، إن العالم يراقب تطور المجاعة في غزة والتي يمكن أن تقتل عدة مرات أكثر من 24 آلاف فلسطيني الذين لقوا حتفهم بالفعل في الحرب الخاطفة التي شنتها إسرائيل بلا رحمة. وفي الشهر الماضي، تشير التقديرات إلى أن أكثر من 90 بالمائة من سكان غزة يواجهون مستويات عالية من انعدام الأمن الغذائي الحاد، والتي تم تصنيفها على أنها المرحلة 3 أو مستويات الأزمة. ومن بين هؤلاء، كان أكثر من 40% في حالة الطوارئ، وأكثر من 15% في وضع كارثي، المرحلة الخامسة والأخيرة. ومن المتوقع أن تتطور المجاعة بسرعة في الأسابيع المقبلة وبحلول أوائل شهر فبراير، إذا لم يتغير شيء، فمن المتوقع أن يكون جميع سكان غزة في مرحلة الأزمة، ونصفهم في مرحلة الطوارئ، وأكثر من نصف مليون شخص في مرحلة الكارثة، حيث تعاني الأسر من نقص حاد في الغذاء والمجاعة والإرهاق. هذه ليست توقعات وزارة الصحة الفلسطينية، التي رفضتها وسائل الإعلام الغربية بشكل جماعي باعتبارها "تدويرها حماس"، ولكنها توقعات التصنيف المتكامل لمراحل الأمن الغذائي (IPC)، الذي يعتمد على بيانات من وكالات الأمم المتحدة والمنظمات غير الحكومية. قبل ثلاثة أسابيع، حذر المركز الدولي للأمن الغذائي من أن قطاع غزة سيكون به أعلى نسبة من الأشخاص في العالم الذين يواجهون انعدام الأمن الغذائي الحاد - وهذا ما تبين. وما لم يعتبر الداعمون الغربيون لإسرائيل أن برنامج الغذاء العالمي واليونسيف ومنظمة الصحة العالمية "تدويرها حماس"، فسيضطرون على نحو متزايد إلى الاستماع إليهم عندما يقولون إن الشاحنات المسموح لها بدخول غزة ليست سوى جزء صغير مما هو لازم لتجنب مجاعة جماعية. وبطبيعة الحال، فإن الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وألمانيا تفعل أكثر بكثير من مجرد مشاهدة كارثة إنسانية تتطور في غزة وهم يساهمون فيها بشكل فعال من خلال تغذية الآلة العسكرية الإسرائيلية بالوسائل اللازمة لمواصلة هذه الحرب إلى أجل غير مسمى. وذكرت ديبوعت أحرنونوت، وهي صحيفة إسرائيلية تتمتع بمصادر حكومية جيدة، أنه منذ 7 أكتوبر، أرسلت الولايات المتحدة 230 طائرة شحن و20 سفينة مليئة بقذائف المدفعية والمركبات المدرعة والمعدات القتالية.

'ما الذي يجب فعله؟'

وأضاف "هيرست" أن هذا المستوى من إمدادات الأسلحة يتعارض مع الخطاب الأمريكي، الذي تجيده واشنطن بالمناسبة. ينبغي أن يحصل وزير الخارجية الأمريكي "أنتوني بلينكن" على جائزة الأوسكار عن أدائه في المنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس بسويسرا. وعندما سأله كاتب العمود في صحيفة نيويورك تايمز "توماس فريدمان"، عما إذا كانت حياة المسلمين والمسيحيين أقل قيمة من حياة اليهود، أجاب "بلينكن" بصوت متقطع بالعاطفة: "لا" بالنسبة لي، أعتقد بالنسبة للكثيرين منا، أن ما نراه كل يوم في غزة أمر مؤلم. والمعاناة التي نراها بين الرجال والنساء والأطفال الأبرياء تفطر قلبي. والسؤال هو، ما الذي يجب فعله؟". وتساءل "هيرست": "ماذا عن الدعوة إلى وقف فوري لإطلاق النار؟ ماذا عن وقف توريد القذائف والقنابل الأمريكية؟ ماذا عن دعم ادعاء جنوب أفريقيا بأن هذه جريمة إبادة جماعية، أو على الأقل جرائم حرب؟". مرت العديد من الرحلات الجوية التي تحمل أسلحة ومعدات أمريكية عبر قاعدة أكروتييري البريطانية في قبرص، وفقاً لموقع التحقيقات البريطاني Declassified، بعد تقرير لصحيفة "هآرتس" يفيد بأن أكثر من 40 طائرة نقل أمريكية و20 طائرة بريطانية، إلى جانب 7 طائرات هليكوبتر ثقيلة، قد حلقت إلى سلاح الجو الملكي البريطاني أكروتييري، على بعد 40 دقيقة بالطائرة من تل أبيب. ويقال إن ألمانيا تدرس تسليم 10 آلاف طلقة ذخيرة دقيقة عيار 120 ملم إلى إسرائيل، وهو طلب وافقت عليه بالفعل من حيث المبدأ. وكما هو الحال مع الهجوم الروسي على أوكرانيا، كان القصف الإسرائيلي لغزة مكثفاً للغاية لدرجة أن الذخيرة كانت على وشك النفاد بشكل دائم. لقد أسقطت إسرائيل ما يقرب من 30 ألف قنبلة وقذيفة على غزة خلال 100 يوم، أي ثمانية أضعاف ما أسقطته الولايات المتحدة على العراق خلال ست سنوات من الحرب. منع إسرائيل من الإفلات من العقاب على القتل الجماعي للرجال والنساء والأطفال الأبرياء لم يعد مسألة تتعلق باليسار أو اليمين في السياسة الغربية. بالمقياس الوحيد الذي يهم الفلسطينيين، فإن الرئيس الأمريكي "جو بايدن" هو عضو مدفوع الأجر بالكامل في حزب الحرب، مثل العديد من أسلافه ومعاصريه في كل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة.

مقعد مصر في الحلبة

وأشار "هيرست" إلى أن هذه الدول ليس لديها حدود مع إسرائيل، وإحدى الدول التي لديها مقعد في الصف الأول في حلبة المجاعة التي تتكشف على بعد بوصات من حدودها هي مصر. إن مسؤوليتها عن الحصار الحالي المفروض على غزة، والذي هو أكثر وحشية بكثير من أي فترة أخرى خلال الأعوام الستة عشر الماضية، هي مسؤولية مباشرة. وصدق الصحفيون الذين نظموا تظاهرة مرتجلة أمام مقر نقابة الصحفيين في القاهرة عندما قالوا "مصر شريكة في الحصار". ويتم إيصال الرسالة نفسها من الأطفال الذين يسخرون من القوات المصرية على السياج الحدودي: "يقولون مصر أم الدنيا هل سبق لك أن رأيت أمًا تترك أطفالها بمفردهم؟".

في هذه الأثناء، يبدو أن المسؤولين المصريين لا يفكرون في إعطاء أرقام متناقضة وقال "خالد عبد الغفار"، وزير الصحة المصري، أواخر الشهر الماضي، إن مصر استقبلت 20 ألف جريح فلسطيني في حوالي عشرين مستشفى وبعد أسبوعين فقط، قال رئيس الهيئة العامة للاستعلامات "ضياء رشوان"، إن مصر استقبلت 1210 مصابًا فلسطينيًا

بينما أصيب أكثر من 60 ألف فلسطيني في غزة، يموت بعضهم في سيارات الإسعاف أثناء انتظارهم للخروج في بعض الأحيان يصل الإذن بالمغادرة بعد وفاة المريض

ولا تتورع إسرائيل عن إلقاء حلفائها الإقليميين تحت الحافلة عندما دافع فريق الدفاع الإسرائيلي عن نفسه الأسبوع الماضي ضد تهمة الإبادة الجماعية في المحكمة الدولية في لاهاي، اتهم القاهرة بالمسؤولية عن منع دخول المساعدات الإنسانية إلى غزة مما أخرج مصر، وأصدر "رشوان" بياناً قال فيه إن رفح تحت السيطرة الإسرائيلية

وقال "هيرست": "الموقف الرسمي لمصر هو أنها لا تستطيع السيطرة إلا على الجانب الخاص بها من الحدود وفي الواقع فإن التعاون مع إسرائيل يذهب إلى ما هو أعمق من ذلك بكثير".

تاريخ متقلب

وذكر "هيرست" أنه على مدار التاريخ، كانت علاقة مصر بغزة والقضية الفلسطينية معقدة وفي الوقت الذي كانت فيه مصر لا تزال تتمتع بثقل جيوسياسي، كان دعم الرئيس السابق "جمال عبد الناصر" للثورة في الجزائر عاملاً رئيسياً في نجاحها

لعب الرئيس السابق "حسني مبارك" دوراً معقداً في غزة لقد ساعد في بناء الحصار بعد فوز حماس في انتخابات عام 2006، وفي عهد "مبارك"، قبلت مصر أنه لا يمكن لأي شيء أن يمر إلى غزة دون الحصول على إذن مسبق من إسرائيل ومع ذلك، في الوقت نفسه، استمرت التجارة عبر الأنفاق

ولكن عندما أصبح الضغط أكثر من اللازم واندلع القتال، كما حدث في عام 2008، وقفت "تسيبي ليفني" وزيرة الخارجية الإسرائيلية آنذاك، إلى جانب نظيرها المصري "أحمد أبو الغيط"، الذي يشغل اليوم منصب الأمين العام لجامعة الدول العربية، لتقول إن إسرائيل ستهاجم غزة وكان دعم مصر لتلك الحرب أحد العوامل وراء الثورة التي أطاحت بمبارك بعد ثلاث سنوات

ولكن بعد الحرب، تراجعت حكومة "مبارك" ولجأت إلى التهرب مرة أخرى، قائلة إن الأنفاق كانت نتيجة للحصار ورفضت فرض حظر على الأسلحة إلى غزة

واستمتعت غزة بأفضل أوقاتها في عهد الرئيس الراحل "محمد مرسي"، الذي أبقى الحدود عند رفح مفتوحة وأوقف الحرب اللاحقة وقال "هيرست": "وقد جلبت الإطاحة به، وصعود وزير دفاعه "عبد الفتاح السيسي" إلى السلطة، أهلك الأوقات لغزة".

وبذل "السيسي" كل ما في وسعه لتشديد الحصار عن طريق إغراق الأنفاق، إلى جانب التهجير القسري للسكان المصريين في رفح لإنشاء منطقة عازلة على الحدود

وفي عهد "السيسي"، زادت أهمية المعابر الحدودية الإسرائيلية باعتبارها الوسيلة الأساسية لإبقاء غزة على أجهزة دعم الحياة من خلال الغذاء والماء والوقود

هناك عاملان يحكمان هذا التاريخ المتقلب للغاية الأول هو التراجع الجيوسياسي لمصر في عهد السيسي ولم تعد مصر ذات صلة بأكبر جيرانها؛ فوسط الحرب الأهلية في السودان، تلعب دولة "الإمارات" دوراً أكبر كما أن مصر لا علاقة لها بمصير ليبيا

والثاني هو خوف السيسي العميق من جماعة الإخوان المسلمين، ومطالبتها المتأصلة والدائمة بالشرعية في مصر - وهو الخوف الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقمع الوحشي للربيع العربي

إذا كان السيسي صادقاً في كلمته بشأن عدم السماح لإسرائيل بتطهير غزة عرقياً، فمن واجبه مساعدة الفلسطينيين على البقاء على أراضيهم الممزقة ويتعين على مصر تأمين احتياجات غزة الأساسية من الغذاء والماء والدواء، إما عن طريق المعبر أو عن طريق البحر بل ويمكنها حتى أن تدعو دولاً أخرى من منظمة التعاون الإسلامي للانضمام إلى عملية إسقاط جوي كتلك التي قام بها الحلفاء لكسر حصار برلين في عام 1948. ومثل هذا الجسر الجوي من شأنه أن يتحدى نفاق الغرب ويمزق مظلات للمجاعة في غزة لن يحدث ذلك بالطبع، لأن دكتاتورية مثل "السيسي" لا تهتم إلا بشيء واحد، وهو البقاء

ومع ذلك، فإن العلاقة بين النضال من أجل الحقوق الفلسطينية والمعركة الداخلية من أجل الديمقراطية في مصر غير قابلة للتجزئة، والسيسي يعرف ذلك جيداً أحدهما يلهم الآخر، ولهذا السبب، بخلاف عدد قليل من المسيرات، قامت الدولة المصرية بقمع أي مظاهر عامة للتضامن مع الفلسطينيين

وبطبيعة الحال، تلعب مصر دوراً دبلوماسياً في محاولة إنهاء الحرب، لكن اقتراحها الأخير المكون من ثلاث مراحل كان موجهاً نحو إطلاق سراح الرهائن كما أن للسيسي وإسرائيل أيضاً الكثير من القواسم المشتركة: يريد السيسي غزة منزوعة السلاح وزوال حماس

فلسطين قضية عالمية

ولكن هناك شيء آخر يحدث على نفس القدر من الأهمية: حيث يتم الدفاع رسمياً عن فلسطين من الجنوب العالمي أخذت جنوب أفريقيا زمام المبادرة من خلال رفع قضية الإبادة الجماعية في محكمة العدل الدولية في لاهاي

وفي الوقت نفسه، تعود فلسطين إلى الظهور كقضية عالمية، تمامًا كما كان الحال في الحرب ضد الفصل العنصري في جنوب إفريقيا إن تكوين فريق المحامين في جنوب أفريقيا يقول كل شيء: متعدد الأعراق، ذكور، وإناث، وأيرلنديون، وبريطانيون، وجنوب أفريقيون ولم يكن هناك فلسطيني رسمي معهم في المجموعة ومع ذلك، بعد يوم واحد من انتهاء جلسة الاستماع، كانت هناك مظاهرات ضخمة في 45 دولة - ولكن ليس في مصر أو السعودية أو حتى الجزائر

وفي استطلاع حديث أجراه المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، والذي شمل 8 آلاف عربي في 16 دولة، قال 92% من المشاركين إن القضية الفلسطينية هي قضية تهتم جميع العرب

قال ما يقرب من 90% من المشاركين العرب إنهم يعتبرون هجوم 7 أكتوبر الذي نفذته حماس، والتي تم تصنيفها كمنظمة إرهابية في المملكة المتحدة ودول أخرى، "عملية مقاومة مشروعة" أو "عملية مقاومة معيبة إلى حد ما ولكنها مشروعة".

رفض 89% من المشاركين الاعتراف بإسرائيل، وهو أعلى رقم في تاريخ استطلاعات المركز وقال 13% فقط من العرب الذين شملهم الاستطلاع إنهم يعتقدون أن السلام مع إسرائيل لا يزال ممكناً

وفي الختام، ألمح "هيرست" إلى أن الغضب يغلي في قلوب السعوديين والمصريين والأردنيين والعراقيين، وسيطفو هذا الغضب في نهاية المطاف إلى السطح وينفجر وعلى الطغاة أن يحذروا مما يتمنون إن إحجامهم العميق عن الوقوف في وجه إسرائيل يمكن أن ينفجر في وجوههم

